أم عمارة والأنصار

نَسِيبَة بنت كعب بن عمر بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار، فهي من الخزرج أباً وأماً، وهو حي كبير من الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة، وكان عدد الأنصار من الخزرج أكبر من عدد الأوس، ومنهم عدد كبير دخل في الإسلام، وبايع رسول الله ﷺ، وهم حي كبير من الخزرج.

والأنصار ذلك الحي من العرب الذين رضوا من بين القبائل كلها بدخول الإسلام، ومبايعة رسول الله ﷺ، تلك البيعة التي حولت مجرى التاريخ كله بعد أن كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ـ يعرض نفسه على أحياء العرب في المواسم فيرفضون الدخول في الإسلام، ويجارون قريشاً في تكذيبها لنبي الله، ورفضها لدعوة الله، حتى أراد الله لهذا الحي أن ينال حظ الدنيا والآخرة فاستجابوا

لدعوة الله، وحمل نفر من شبابهم مسؤولية الدين الجديد في المدينة، وتحدوا طغيان قريش وجبروتها، وبايعوا رسول الله ﷺ. فكانوا طليعة مؤمنة في بلد الهجرة، وقاعدة لدولة الإسلام الفتية واستطاع النفر القليل أن يبثوا الدعوة في بيوت أهل المدينة مع مصعب بن عمير[1] حتى تواعدوا مع رسول الله في العقبة، وجاء الوفد ومعه نسيبة بنت كعب وبايعوا محمداً على التوحيد والسمع والطاعة وحماية رسول الله ﷺ.

وأعلن الأنصار تحملهم لتبعة البيعة، ودعوتهم للنبي والمسلمين للهجرة إلى المدينة، وفتحوا قلوبهم ودورهم للمهاجرين، وقدموا أموالهم وخدماتهم لهم، وكانوا كما قال الله فيهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولأنهم قالوا لمن سألهم عند البيعة: «قالوا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف» فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وَفَّينا؟

قال: «الجنة».

قالوا: أبسط يدك. فبسط يده فبايعوه.

---

(١) انظر كتاب (مصعب بن عمير) للمؤلف، سلسلة أعلام المسلمين.

الجنة... هذه الكلمة التي تحمل كل سعادة يحلم بها المخلوقون، وفوق ما يحلمون.

الجنة... هي النعيم الذي آمن به المسلمون وفهموا ما يعني على حقيقته دون التباس أو شك أو ريبة.

الجنة... أرحب من كل أمل، وأحلى من كل مطمع.

هكذا ببساطة، ولكنهم تذوقوا طعم الذي يسمعون بقلوبهم وعقولهم، وعرفوا أن وعد الله لا يتخلف، ونعيمه لا يزول لأنه الخالق القادر، ولهذا قالوا لرسول الله: ابسط يدك نبايعك، وبايعوه، وكانوا من الرابحين.

ولا غرابة أن يكرمهم رسول الله ﷺ ويوصي بهم وهم الأنصار الصادقون، والدعاة المؤتمنون - مع المهاجرين - على الدعوة.

كانت نسيبة واحدة من هذا المجتمع المؤمن، وامرأة من بين نساء الأنصار اللواتي دخلن في دين الله، وفدين الإسلام بكل غالٍ وعزيز، بعد أن كن يغلبن رجالهن قبل الإسلام ولا يفكرن إلا بما تهوى الأنفس

من متاع الدنيا وملذاتها، فأصبحن بعد البيعة خير نساء في طاعة الله ورسوله.

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[2].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» وفي رواية: «آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار»[3].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن

---

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) البخاري ومسلم والترمذي.
(٣) البخاري ومسلم والنسائي.

رسول الله ﷺ قال: «لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ وقال: «والذي نفسي بيده، إنكم لأحب الناس إليّ - مرتين -»[2].

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار»[3] وزاد الترمذي «ولنساء الأنصار».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأنصار كرشي وعيبتي، وإن الناس سيكثرون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»[4].

وفي رواية للبخاري قال:

مر أبو بكر بمجلس من مجالس الأنصار وهم

---

(١) الترمذي وإسناده صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي رواية مسلم «رجل» بدلاً من أحد.

(٢) البخاري ومسلم (وفي رواية ثلاث مرات).

(٣) أخرجه مسلم، وللبخاري رواية لأنس بن مالك.

(٤) البخاري ومسلم والترمذي.

يبكون، فقال؛ ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال فصعد النبي ﷺ المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا طلحة قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرئ قومك السلام، فإنهم ما علمت أعفةٌ صبر»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو عبد الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير»[3].

---

(١) البخاري ومسلم والترمذي (عيبتي وكرِشي: أي موضع سري وأمانتي، قال أبو عبيد: يقال عليه كرِش من الناس: أي جماعة، كأنه أراد جماعتي وصحابتي الذين بهم أثق وعليهم أعتمد).

(٢) الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري ومسلم.

فهذه صورة الأنصار نساءً ورجالاً كما رسمها لنا صلوات الله عليه وسلامه بما صدقوا، وبما ضحوا، وبما عملوا.

وهي شهادة خير، لهؤلاء القوم الذين بايعوا الله ورسوله، ونصروا دين الله يوم أن عاداه الناس.

وهي شهادة لنساء الأنصار أيضاً، هؤلاء اللواتي كن صالحات مؤمنات قانتات... أسلمن وصدقن، ووقفن مع رجالهن لنصرة دين الله، وآثرن مرضاته، ولم تقعدهن الدنيا ومغرياتها عن واجباتهن.

ولم تقف واحدة منهن تثبط من عزيمة زوج أو أخ أو أب لأنه آثر الله ورسوله وترك نعيم الدنيا وملذاتها.

كن صادقات مؤمنات، والإيمان ليس له إلا طريق واحد، وله فليعمل العاملون.

وعن عائشة رضي الله عنها في رواية ابن أبي حاتم قال: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار: أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل؛ لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أعطى رسول الله ﷺ تلك العطايا ـ يعني «يوم حنين» ـ في قريش وغيرهم من العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت المقالة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لسعد بن عبادة: اجمعْ قومَكَ هذه الليلة حتى أخرجَ إليهم، فجمعهم لرسول الله ﷺ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر الأنصار! ما مقالة بلغتني عنكم[1] ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله! وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم الله؟

ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟

قالوا: بلى، نجيبك يا رسول الله. والله ورسوله أَمَنُّ وأفضلُ صدقت يا رسول الله، قال: أما والله، لو شئتم لقلتم، فَصَدَقْتُم وصُدِّقتم: جِئْتَنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، ومخذولاً فنصرناك، ومُكَذَّباً فصدَّقناك، أوجدتم يا معشر الأنصار من لَعَاعة[2] من الدنيا تألَّفْتُ بها قوماً لِيُسلموا، وَوَكَلْتُكُم إلى إسلامكم؟ فوالذي نفسُ

---

(١) «مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم» السيرة. ٤/ ١١٤.

(٢) نبات ناعم خفيف ونوع من الكلأ رُعِيَ أو لم يُرعَ.

محمدٍ بيده، لولا الهجرةُ لكنتُ امرءاً من الأنصار، ولو سلكَ الناس شعباً وسلكَتِ الأنصار شِعباً لسلكْتُ شعب الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، الأنصار كرشي، وعيبتي، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟

قال: فبكى القوم حتى أَخْضَلوا لحاهم، ثم قالوا: رضينا بالله ورسوله مما سواه، ثم رجع رسول الله ﷺ وتفرقَ القوم راضين[1].

والأنصار هم الأوس والخزرج، أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

والخزرج هم أخوال رسول الله ﷺ، لأن أم عبد المطلب منهم، وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة ٤/ ١١٤. وروي بعضه في البخاري (٥٧ ـ كتاب فرض الخمس) و (١٩ باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم). وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة أيضاً.

لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

وهم بطون، منهم: بنو النجار وكعب والحارث وجشم وعوف بنو الخزرج.

وهكذا تكون نسيبة من خير دور الأنصار الذين ذكرهم رسول الله ﷺ فقال: عن أبي أسيد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة، وفي كل الأنصار خير».

والأنصار الذين رضوا بالله ورسوله على ما في الدنيا من متاع هم من خيرة الناس الذين استحقوا المحبة والإكبار، حتى دعا رسول الله ﷺ لهم بالمغفرة والرحمة.

ولهذا كان لسان حالهم قول الشاعر:

ثوى في قريش بضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
يذكّرُ لو يَلْقى صديقاً مواتياً[1]
ويعرِضُ في أهل المواسم نفْسَه
فلم يرَ مَن يُؤوي ولم يرَ داعياً[2]

---

(١) ثوى: أقام حجة: سنة.
(٢) أي من يلبي نصرته.

فلما أتانا واستقرَّت به النوى
وأصبح مسروراً بطيبَةِ راضياً[1]
وأصبح ما يخشى ظلامةَ ظالم
بعيد، ولا يخشى من الناس باغياً[2]
بذلْنا له الأموال، من جلّ مالَنا
وأنفسنا عند الوغى والتَّآسيا[3]
نُعادي الذي عادى من الناس كلِّهم
جميعاً وإنْ كان الحبيبَ المواتيا[4]
ونعلمُ أن الله لا شيءَ غيرُهُ
وأنَّ كتابَ الله أصبحَ هادياً[5]

هؤلاء من المهاجرين والأنصار حجة على البشر جميعاً ليعلمون أن هدى الله يمكن أن ينبت من البيداء الجافية حضارة وحياة للدنيا والآخرة.

---

(١) طيبة: من أسماء المدينة المنورة.
(٢) في السيرة:
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً
قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
(٣) الوغي: الحرب. التآسي: التعزية.
(٤) المواتيا: الملائم والموافق.
(٥) في السيرة: ونعلم أن الله أفضل هاديه.
وفي السيرة ورد ١٣ بيتاً.